

أهمية استقامة أصحاب الطرق الصوفية ووحدة المسلمين في نيجيريا

*The Importance of the Consistency of the Sufis and the Unity of the
Muslims in Nigeria*

محمد يوسف خالد^١، عبد الله أريكيويو حنفي^٢

Universiti Sains Islam Malaysia

ملخص البحث

تبحث هذه الدراسة إحدى أسباب الاختلاف بين المسلمين في نيجيريا وعدم توحدهم. ومن هذه الأسباب بعض المآخذ من حاملي لواء هذه الطرق الصوفية المختلفة. فإبراء التصوف من هذه المساوئ والزيغ والضلال هو من أهداف هذه الدراسة إضافة إلى دعوة أهل السنة والجماعة إلى إعادة النظر في موقفهم من عدم سنية التصوف. المنهج المتبع هنا هو مراجعة الكتب والخبرة الشخصية للباحث. وقد أنتجت هذه الدراسة من ضمن منتوجاتها أن التصوف جزء لا يتجزأ من الإسلام، وأن سنية أصله أو ثق من بدعته، وأن الغلو والمساوئة كثيرة ومنتشرة في الطرق الصوفية في نيجيريا وبدون محو هذه الغلو والمساوئة واستقامة أصحاب الطرق الصوفية لا تستقر وحدة المسلمين في نيجيريا.

الكلمات المفتاحية: استقامة، الطرق الصوفية، وحدة المسلمين

١ محاضر: جامعة العلوم الإسلامية الماليزيا (yusuf@usim.edu.my).

٢ طالب الماجستير: جامعة العلوم الإسلامية الماليزيا (abdullahiary2013@gmail.com)

Abstract

This study examines one of the reasons associated with the difference and disunity among Muslims in Nigeria. It is the mischievous acts of some spiritual leaders of various Sufi orders. This paper aims at setting Sufism free of their misrepresentation and at the same time inviting Sunnis to reconsider their stand on Sufism as an innovation. Qualitative Method was used together with the personal experience of the researchers. The findings show that mysticism is an integral part of Islam, and that its Islamic cultural origin is more affirmed than its innovation. It has also been confirmed that various spiritual malpractices in the name of Sufism are rampant in the Sufi orders in Nigeria; and without erasing them, the dream of unification among Nigerian Muslims may not come to pass.

Keywords: Integrity, Sufi orders, Muslim unity

المقدمة

الحمد لله جلّ من قال في كتابه العزيز « وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ». ^٣ وقال أيضا في محكم كتابه: « وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ » ثم الصلاة والسلام على أقرب الناس الى الله وأحبهم اليه سبحانه وتعالى، محمد بن عبد الله، وهو القائل: « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » ^٤ وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم القيامة. أما بعد .

٣ القرآن . الكهف : ١٨ : ٢٠ .

٤ القرآن . الأنعام : ٦ : ٥٢ .

٥ الحنبلي، ابن رجب . ٢٠٠١ . جامع العلوم والحكم . لبنان : مؤسسة الرسالة . ص ٩٣ . ج ١ .
وأبو داود ج ٢٢٣١٤ . والترمذي ج ٦١٥ رواه البخاري ج ٢٧١١ ، ومسلم ج ٣٩١١ .

فإن التزكية النفسية فضل ورحمة من الله عز وجل لقوله تعالى «ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء»^٦ فنظرا لهذه الآية، فلا ينبغي لولي من الأولياء أن يفتخر علنا بولايته ويستعبد الناس (المريدين) بهذه الولاية، وإن كان منهم، كما هو الحال في البلاد اليوم. فإن التصوف في تأريخه القديم وفي بدايته، القائمون به كانوا مستقيمين نظريا وتطبيقيا. و بعد مرور الزمن، عرف معه بعض المؤثرات الدخيلة من العقائد الفاسدة، والفلسفات الدخيلة والتي زادت في حالة الانحراف عند بعض المنتسبين في الطريقة.^٧ فقد اخترت هذا الموضوع لعلاقته بمسؤولياتي كداعية إسلامي في بلاد يزيد فيها المتصوفون يوما بعد يوم لسبب أو آخر. فأهداف هذه الدراسة تتضمن محاولة تبرئة التصوف من مساوئ الطرق الصوفية المعاصرة في نيجيريا، وإثبات مكانة أولياء الرحمن ضد ادعاءات أولياء الشيطان. وإن الأسئلة التي نحاول الاجابة عليها هي وجود مساوئ ومظاهر سلبيات عند الطرق الصوفية المعاصرة في نيجيريا وإمكانية إثبات الوحدة بين أفراد المسلمين في نيجيريا إن محيت هذه المؤاخذات.

معنى الطرق الصوفية

الطرق هي جمع الطريق: وتعني المسلك. وكانت الطريقة عند الصوفيين رابطة روحية، تتخذ التعبد والتنسك وسيلة لاصلاح النفس والمجتمع، وتقوم بالرياضة التي تسمو بها النفس الى درجة الاتصال الروحي بالملا الأعلى، فيصير كل ما عدا الله باطلا حقيرا في أعينهم. وفي ذلك تحقيق لمعنى: لا اله الا الله عندهم.^٨ الطريقة جمعها: طرائق، قال تعالى: «كنا

٦ القرآن . النور ٢٤: ٢١: ١٢.

٧ البخاري . ج ٢٧١١.

٨ الألوري ، آدم عبد الله . ١٩٧٨ . الاسلام في نيجيريا . لاغوس : طباعة مركز التعليم العربي

طرائق قدا»^٩ والطريق جمعها: أطرق و طرق، وهما كلمتان مترادفتان بمعنى السيرة والمذهب.^{١٠} وفي لسان العرب والصحاح: طريقة القوم أي أمثالهم وخيارهم.^{١١} وقد صدق من قال إن الطرق الصوفية اليوم حركة منظمة ومدرسة يتخرج فيها الأولياء، لها قواعدها ورسومها من حيث سيرة المريدين واخلقهم وعبادتهم.^{١٢} وفي مفهوم الطريقة الصوفية التقليدية ما يخالف وضعها في عصرنا هذا. فانها قديما: عبارة عن طريقة تسيير متمسكة او مستمدة مبادئها وتعاليمها عن القرآن والسنة مباشرة، تتشكل في صورة الايمان، والعلم الروحي والعمل الصالح، ولكن من غير وساطة تنظيم او منظمة او مؤسسة لجماعة التصوف التي تخضع تحت قيادة شيخ تصوف معين.^{١٣} فإن الطريقة في مرحلة التصوف الأولى لا تتقيّد باسم مؤسس الطريقة بل هي عبارة عن وسيلة ذات مواصفات او خصائص مطلقة ونقيّة بعيدة عن التأثيرات الوافدة، تجعلها باقية نقيّة، وهي المعروفة بالطريقة الصوفية السنية.^{١٤}

الاسلامي أجيحي . الطبعة الثالثة .

٩ القرآن . الجن: ٧٢: ١١ .

١٠ الباروحي، سليمان بن ابراهيم . ٢٠٠٢ . الطرق الصوفية في ماليزيا وأثرها على الدعوة الاسلامية . نجري سمبلين : دار الافتاء .

١١ ابن منظور، محمد بن مكرم . ٢٠١٠ . لسان العرب . مادة طرق، ص ٢٦٦٥ . وفي مختار الصحاح : مادة طرق، ص ١٦٤ .

١٢ المصدر السابق: سليمان بن ابراهيم . ٢٠٠٢ .

١٣ المصدر نفسه .

١٤ المصدر نفسه .

لفظ الطريقة في القرآن

- لقد ورد ذكر لفظ الطريقة في كثير من الآيات القرآنية منها:
- ١- «ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم»^{١٥}. وعند ابن كثير: الطريق هنا السبيل الى الخير.^{١٦}
 - ٢- «قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى»^{١٧}
 - ٣- «ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى»^{١٨}
 - ٤- «نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما»^{١٩}
 - ٥- «ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين»^{٢٠}
 - ٦- «قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم»^{٢١}. وفي تفسير القرطبي، طريق مستقيم هي دين الله القويم^{٢٢}
 - ٧- «والو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا»^{٢٣}

١٥ القرآن . النساء : ٤ : ١٦٩ .

١٦ ١٤ ابن كثير، اسماعيل بن عمر . ١٩٩٩ . تفسير القرآن العظيم . م. د . دار طيبة للنشر والتوزيع . ط ٢ تحقيق سامي بن محمد .

١٧ القرآن . طه : ٢٠ : ٦٣ .

١٨ القرآن . طه : ٢٠ : ٧٧ .

١٩ القرآن . طه : ٢٠ : ١٠٤ .

٢٠ القرآن . المؤمنون : ٢٣ : ٤٠ .

٢١ القرآن . الاحقاف : ٤٦ : ٣٠ .

٢٢ القرطبي، محمد بن احمد . ١٩٦٤ . الجامع لاحكام القرآن . (تفسير القرطبي) . تحقيق احمد البردوني وابراهيم اطفيش . القاهرة : دار الكتب المصرية .

٢٣ القرآن . الجن : ٧٢ : ١٧٠ .

فإن وجود الطريقة بهذه المعاني الشيقة وجذابة تدعو الى عدم المعصية في اتخاذها وأن اتخاذها يكون على مستوى واحد باتخاذ المذاهب الفقهية اذا توفرت الشروط، والتي منها عدم التعمد في الخطأ واضلال الناس .

شرعية الطرق الصوفية

يشبه المتصوفون الطريقة الصوفية بالمذاهب الفقهية كما شرحناه أعلاه، من حيث عدم وجودها (اي المذاهب الفقهية) في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم. ولو نريد ان نطبّق اوجه الشبه بين الاثنين نقول: ان اتخاذ الطريقة غير لازم للعلماء دون الجهلاء كما هو الحال في المذاهب الاسلامية، فتقليد أحد الأئمة الأربعة للذين لا يستطيعون استنباط الأحكام الشرعية من القرآن والسنة بأنفسهم. فهل هو هكذا في التصوف؟ فالذي أراه هو الاستدلال بالآيتين التاليتين: قوله تعالى في سورة النساء كما أسلفنا «ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم» و يرى ابن كثير بأن الطريق هنا بمعنى السبيل الى الخير، انه دلالة واضحة على ان اتخاذ طريقة الى الخير مشروع. والثانية هي قوله تعالى من سورة الاحقاف حيث قال: «قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم» و يرى القرطبي بأن الطريق المستقيم هو دين الله القويم. فهذا دليل على أن اتخاذ الاذكار من القرآن الكريم او من السنة النبوية والمواظبة عليها حتى تكون معروفة بذلك الانسان على سبيل الطريقة لا بأس به، لأنهم بها يجاهدون لمعرفة الله تعالى، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «ما من رجل يسلك طريقا يطلب فيه علما الا سهل الله له به طريق الجنة ومن ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه»^{٢٤}.

٢٤ الحديث: ابو داود. في كتاب العلم. حديث رقم ٣١٥٨.

الطرق الصوفية في نيجيريا

إن الطرق الصوفية في العالم مع كثرتها تتجزأ من أربع أو خمس طرق أساسية التالية:^{٢٥}

- (١) القادرية: نسبة الى عبد القادر الجيلاني سنة ٥٦١هـ.
- (٢) الرفاعية: نسبة الى احمد الرفاعي ت ٥٨١هـ.
- (٣) الأحمدية: نسبة الى الشيخ احمد بن علي ابراهيم بن محمد بن ابي بكر البدوي، ولد بفاس سنة ٥٩٦هـ وتوفي سنة ٦٧٥هـ.
- (٤) البرهامية او الدسوقية: نسبة الى ابراهيم الدسوقي المتوفى سنة ٦٧٦هـ وأضيفت الشاذلية الى المجموع نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي والمتوفى سنة ٦٥٦هـ^{٢٦}. هذا في العالم الاسلامي، ولكن الطرق الصوفية المتواجدة في نيجيريا اليوم كثيرة ومتفاوتة أيضا في شهرتها، وذلك أن تأسيس الطريقة في التصوف عامة وفي نيجيريا خاصة، ليس له قاعدة متبعة وليس هناك من يزرع الآخر ضد هذا التأسيسات اللاموضوعية. فأهم الطرق فيها اليوم هي: القادرية، التيجانية، السنوسية،^{٢٧} الجعفرية و الشاذلية ولا يشك أحد من الباحثين والدارسين والمنتسبين إلى طريقة صوفية ما أن كلا من هذه الطرق المذكورة فرع من القادرية أو التجانية.

محاسن الطريقة الصوفية

إن الذين جاؤا بفكرة الطريقة في التصوف لم يكونوا لتركوا المجال للتأسيسات الحشوية التي فشلت الآن. ويكفي ما قيل عنها أنه «وان كانت الطرق الصوفية قد خرجت اليوم عن مقصدها الأول، وتسربت

٢٥ المصدر السابق: سليمان بن ابراهيم (٢٠٠٢).

٢٦ المصدر نفسه.

٢٧ المرجع السالف: الالوري (١٩٧٨).

إليها البدع والأفكار الأجنبية، فلقد أدت خدمتها الجليلة للدعوة الإسلامية، خصوصا في غرب إفريقيا، حتى لم يبق مجال لنكران فضلها في نشر الإسلام»^{٢٨}

مآخذ على الطرق الصوفية في نيجيريا

توجد عيوب كثيرة في الطرق الصوفية في نيجيريا أو بالأحرى لدى أصحاب الطريقة الصوفية ما لا تخصى من العيوب، أذكر منها هنا ما يمكن ذكرها تارك البقية لتذكر في الأوقات الأخرى إن شاء الله تعالى. أكتفي هنا أيضا بذكر هذه العيوب ثم شرحها ومن ثم أعلق عليها في الاقتراحات. فهذه العيوب كما يلي:

١- التعصب لشيخ الطريقة.

من ملامح نظام الطريقة الصوفية اليوم في كثير من أقطار العالم الإسلامي وجود الشيخ على رأس الطريقة أو الزاوية^{٢٩}. والشيخ، عند الكاشاني^{٣٠}: «هو (الإنسان الكامل) في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة، البالغ إلى حد التكميل فيها، لعلمه بأفات النفوس وأمراضها وأدوائها، ومعرفتها بذواتها، وقدرته على شفائها والقيام بهداها، إن استعدت

٢٨ المصدر نفسه.

٢٩ المصدر السابق: سليمان بن ابراهيم (٢٠٠٢). ويلى الشيخ في هذا التنظيم الخليفة أو النائب. ويلى النائب مساعده او مساعده، ويطلق عليهم اسم المقدمين (جمع مقدم). وهؤلاء المقدمون هم الأعضاء العاملون في الطريقة او مندوبي الشيخ في المنطقة التي يعملون بها. وهم الذين يدعون للطريقة ويحركون مشاعر الجماهير لها. ثم الإخوان (الخوان) وهم سائر اتباع الطريقة ويطلق عليهم كذلك اسم الأصحاب. فمنهم يختار الشيخ (الرقباء والنقباء والشاويشية). الرقباء: جماعة يقومون بالمراسلات المختلفة بين مشايخ الطريقة الواحدة في المناطق المختلفة. والنقباء: جمع نقيب، وهم الذين يشرفون على التنظيم العام للحفلات وحلقات الذكر. والشاويشية: جمع شاويش، وهم الذين يشرفون على كل ما يتصل بالأكل وقبول الهدايا والصدقات.

٣٠ المصدر نفسه.

ووفقت لاهتدائها». وعلى رأي أحمد الرفاعي: «هو من إذا نصحك أفهمك، وإذا قادك ذلك، وإذا أخذك نهض بك. الشيخ من يلزمك الكتاب والسنة، ويبعدك عن المحادثة والبدعة. الشيخ ظاهره الشرع، وباطنه الشرع». ^{٣١} فمما يستغرب فيه عن العصبية الشيخية عندنا أنه لا فرق في تلك العصبية بين العالمين والجهلاء من أتباع طريقة ما من الطرق الصوفية في البلاد، كل منهم متجاوز الحد في حبه واحترامه لشيخه، ينفعل ويغضب له وأن أخطاء الشيخ في منظور هؤلاء الأتباع تعد من هفوات الأولياء و أنها عند الله لا تعتبر. ومن تعصبهم أيضا أنهم يدعون غالبا أن شيخهم قطب الأقطاب أو قطب الزمان وغوث الزمان، فكل شيخ فريد عصره عند مرديه، فغالبا ما تحدث الفتنة عند لقاء هؤلاء شيوخ الطريقة وهم من طريقة واحدة أو من عدة طرق صوفية مختلفة حيث يكون هناك ردود فعل عند أتباع شيخ لشيخ آخر بالمنطق نفسه. يقود هذا التعصب الى التفرقة مما يسهل على أعداء الاسلام استغلال هذه الأجواء بتغذية الفتنة وذلك بتغليب شيخ طريقة على الآخر. ^{٣٢} وإن كانت هذه الادعاءات والمفاخرات لا تتعدى دائما الى المشاجرة؛ إما بين الشيوخ في طريقة واحدة أو الشيوخ من الطرق الصوفية المختلفة.

٢- سوء فهم المريدين للكرامات .

تتعلق الكرامات عند مريدي شيخ طريقة من الطرق الصوفية في البلاد بإعجابهم بذلك الشيخ. فغالبا ما تدور الكرامات لشيوخ هذه الطرق الصوفية بين أن تكون صادقة أو كاذبة، وقد تكون ضروبا من الرياء أو السحر والتلبيسات الشيطانية. ^{٣٣} فعندنا، يعد التصريف (أي إيجاد

٣١ المصدر نفسه.

٣٢ المصدر السابق : الألوري (١٩٧٨).

٣٣ المصدر نفسه.

واستخراج النقود من تحت السجادة الخالية منها مسبقاً) من كرامات الشيوخ. وكذلك تعدّ من الكرامات كثرة محبي الشيخ والحاضرين في حلقاته الوعظية، وفي سيطرته على «كن فيكون»^{٣٤} وجودة استعمالها.

٣- الدعاية والتأويلات الخاطئة.

من عادات أصحاب الطريقة أنهم يجتمعون مرة أو مرتين في العام في مؤتمر يسمى (بالحضرة)، ولكن هذا المؤتمر لا يحضره الإخوان أو الأصحاب نظراً لكثرة عددهم. والإخوان لا يجتمعون إلا بالمقدمين بعد اجتماعهم بالشيخ ومفاوضتهم مع مشايخ الطريقة بالمناطق المختلفة في مؤتمر صغير يسمى بالجلالة أو (الزردة)، وفي الزردة يدعو المقدم جميع الإخوان إلى وجبة ويخبرهم بنتائج مؤتمر الحضرة. ففي مثل هذا الاجتماع الأخير وغيره مثل حفلة المولد النبوي، يستعمل المريدون بعض التعبيرات الرمزية والتأويلات الباطلة في مدح شيخ الطريقة وقد يحدث في مجالس الذكر أو الحفلات وتشجيع الجنائز حين يقوم مريد منهم بسؤال الحضور قائلاً: إذا أجاد انسان في إلقاء الشعر، فماذا يقال انه قد صار؟ فالجواب من الحضور غالباً هو أن ذاك الانسان قد صار شاعراً. ويرافق هذا بالسؤال الآخر وهو: وإذا أكثر شيخ من استعمال كلمة مشرفة «لا اله الا الله» ماذا يقال أنه قد صار؟ فالجواب هو أنه قد صار «لا اله الا الله»، ثم يليه بأعرب وأخطر سؤال وهو: إذا أكثر شيخ من معرفته لله، فماذا يقال أنه قد صار؟ فيصيح الحاضرون بأعلى أصواتهم أن ذاك الشيخ قد صار «الله» نفسه (والعياذ بالله) فبالسرور

٣٤ يحدث كل من المذكورة باستعانة الشيخ بالجن والشياطين وليس باستعمال أسماء الله الحسنى.

٣٥ المصدر السابق: سليمان بن ابراهيم (٢٠٠٢).

الفائق يطلب هذا المرید من الحاضرين بأن يقولوا بأصوات عالية: « يا الشيخ (فلان) يا إلهنا » وباللغة يوربا:

(Sheu-wa.....Olohun-waoooooooooo)³⁶

٤- خلطهم التخاذل بالزهد .

الزهد في اللغة ترك الميل الى الشيء . وله تعريفات كثيرة في الاصطلاح الصوفي منها: بغض الدنيا والاعراض عنها، أو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة، أو ان يخلو قلبك مما خلت منه يدك.³⁷ وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه . ولكنه مما يزعج العقلاء من المتصوفين ويخوف غير المتصوفين، دعاية بعض المتصوفين بالتفرغ للزهد والانقطاع عن الدنيا وهجرهم لها واختيارهم التفرغ للآخرة من الذين لم تتجاوز أعمارهم العشرين أو الثلاثين سنة (وهي أعمار التعمير والانتاج)، وهم في بداية أو في وسط عنفوان الشباب . وفي الحقيقة، فإن هؤلاء الشباب يتواكلون (ولا يتوكلون على الله) ويكونوا في الأخير عائلين على المجتمع، يتلقون الزكاة والصدقات ويسألون الناس ملحفين . صحيح أن الله قد منعنا من طرد هؤلاء المسلمين حين قال: « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين »³⁸ ولكن لسان الحال فيهم يقول بأنهم يحبون الدنيا وبحاجة ماسة الى متاعها (وهم بذلك غير ملومين في مثل أعمارهم هذه) وان كانوا لا يكرهون الآخرة . ويشتهون حياة الترف من الإسكان في القصور وركوب السيارات الفخامة الفاخرة . فيرى من يبصر أن التفرغ للآخرة في مثل هذا السن خطأً جسيماً . فخير ما قيل

٣٦ هذا من المشاهد الاعيان في حفلة صوفية منعقدة في (غيبلي) .

٣٧ المصدر السابق سليمان بن ابراهيم (٢٠٠٢) .

٣٨ القرآن .: الانعام ٦ : ٥٢ .

في الزهد هو من كلام الامام الغزالي والذي لخصه ابن الجوزي في منهاج القاصدين واختصره ابن قدامة قائلًا: «فالطريق السليم هي الوسطى، وهي أن يؤخذ من الدنيا قدر ما يحتاج اليه من الزاد للسلوك، وإن كان مشتتها، فإن اعطاء النفس ما تشتهيها عون لها وقضاء لحقها».^{٣٩}

٥- معنى «الحياة الطيبة» عندهم .

نأخذ هنا في الاعتبار بالحياة الطيبة التي نصّ عليها القرآن بأن الله تعالى ليحيينّ الذين ءامنوا وعملوا عملا صالحا حين قال: «من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة...»^{٤٠} فما نوع الطيبة التي يحيينهم الله بها؟ وهل هي في هذه الدنيا أم في الآخرة؟. فعند ابن عباس: هي التمتع بالمال الحلال^{٤١} أو أن يرزقهم الله بالقناعة، على

٣٩ المصدر السابق سليمان بن ابراهيم (٢٠٠٢) «قد سمع خلق كثير ذم الدنيا مطلقا، فاعتقدوا أن الإشارة الى هذه الموجودات التي خلقت للمنافع، فاعرضوا عما يصلحهم من المطاعم والمشارب . وقد وضع الله في الطباع توقان النفس الى ما يصلحها، فكلما تاقمت منعوها، ظنا منهم ان هذا هو الزهد المراد، وجهلا بحقوق النفس، وعلى هذا اكثر المتزهدين . وانما فعلوا ذلك لقلة العلم، ونحن نصدع بالحق من غير محبة فنقول: اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة للانسان فيها حظ، وهي الارض وما عليها، فان الارض مسكن الآدمي، وما عليها ملبس ومطعم و مشرب ومنكح، وكل ذلك علف لراحلة بدنه السائر الى الله عز وجل، فانه لا يبقى الا بهذه المصالح، كما لا تبقى الناقة في طريق الحج الا بما يصلحها، فمن تناول منها ما يصلحه على الوجه المأمور به مدح، ومن أخذ منها فوق الحاجة يكتنف الشره وقع في الذم، فانه ليس للشره في تناول الدنيا وجه، لانه يخرج عن النفع الى الاذى، ويشغل عن طلب الاخرة فيفوت المقصود، ويصير بمثابة من اقبل بعلف الناقة، ويرد لها الماء، ويغير عليها انواع الثياب، وينسى ان الرفقة قد سارت، فانه يبقى في البادية فريسة للسباع هو وناقته . ولا وجه ايضا . للتقصير في تناول الحاجة، لأن الناقة لا تقوى على السير الا بتناول ما يصلحها، فالطريق السليم هي الوسطى.....»

٤٠ القرآن . النحل: ١٦ : ٩٧ .

٤١ الطبري، محمد بن جرير . ٢٠٠٠ . جامع البيان في تأويل القرآن (تحقيق احمد محمد شاكر) ط ١ . بيروت : مؤسسة الرسالة .

رأي علي بن أبي طالب^{٤٢} أو أن يرزقهم الله السعادة على رأيهما معا^{٤٣}. أميل في هذا المجال الى ما ذهب اليه الطبري بأن الحياة الطيبة هنا في الدنيا هي القناعة، وذلك اذا سلمنا أن السعادة في هذه الدنيا لا تدرك بنيل الأموال والأغراض الدنيوية، لأن كثيرا من أصحاب الأموال الطائلة غير سعداء، وأن أكثر الفقراء المتمسكين بحبل الرحمان سعداء بفقرتهم. فكثير من هؤلاء المتصوفين المعاصرين في نيجيريا دوما يأولون «حياة طيبة» في هذه الآية بالعيش الرغد بكل ما يشمل من المعاني وبلا انقطاع، ولهذا تجدهم يخالطون بين الأرزاق المكتسبة عن طريق الحلال وغيرها من المكتسبة عن طريق الحرام. وهذا غير جائز، خاصة اذا علمنا أن معنى الإيمان في الآية المعنوية هو الإخلاص في العمل على رأي ربيع^{٤٤}، وهم (مع العلم بأن الله يتولى السرائر) غير مخلصين في طلب وجلب الارزاق. فمعنى الحياة الطيبة في الآية لدى القرطبي في معاني خمسة^{٤٥}: الرزق الحلال، القناعة، السعادة، حياة في الجنة، والرزق الحلال والعبادة. وعند ابن كثير، حياة طيبة في الآية تشمل الجميع^{٤٦}.

٦- تحريمهم بعض الطيبات وتحليلهم بعض المحرمات. إنهم يحرمون على أنفسهم ما قد أحله الله. وبالعكس، يحلون لأنفسهم ما قد حرمه الله. فإن من المتصوفين المعاصرين في نيجيريا من لا يأكل اللحوم وما خرج من الحيوانات، أمثال اللبن والبيض بل يعيشون على النبات مع العلم بأن الله عز وجل عاتب رسوله محمد صلى الله عليه

٤٢ المرجع نفسه.

٤٣ المرجع نفسه.

٤٤ المرجع نفسه.

٤٥ القرطبي، محمد بن أحمد. ١٩٦٤. الجامع لاحكام القرآن. (تفسير القرطبي). (تحقيق أحمد البردوني وابراهيم أطفيش) ط ٢. القاهرة: دار الكتب المصرية.

٤٦ الدمشقي، اسماعيل بن عمر. ١٩٩٩. تفسير القرآن العظيم. (تحقيق سامي بن محمد سلامة) ط ٢. د. م. دار طيبة للنشر والتوزيع.

وسلم حين قال: «يا أيها النبي لما تحرّم ما أحلّ الله لك.....»^٧ ثم قلب بعض منهم الأمر على العكس، فيحلّون استعمال الخمر، يتوضّؤون بها في بعض أذكارهم لسرعة الوصول والفناء في الله على حد قولهم، وهذا في الطريقة الجعفرية في نيجيريا خاصة. وان قالوا بأن ما يتوضّؤون به خمر في أوصافها ولكنّها ماء في حقيقتها، نقول: إن هذا مجرد التسمية فلا تغيّر شيئا، فمن شرب الخمر وسماها ماء، ما شرب إلا خمرا وعقابه عقاب شارب الخمر، ولعلّه يزيد عقابه التديليس والكذب في التسمية.^٨ وأعتقد (والله أعلم) أن المعاصرين من المتصوفين ورثوا بعض هذا الغلو من الأوائل ثم ازدادوا فيه.^٩

٧- ولأنتهم بالذين كفروا.

إن من التعليمات الربانية ان يطلب المؤمن حاجاته من الله تعالى وخاصة العزّ والجاه فلا يطلبهما من انسان ولا من جن. فإن جلّ هؤلاء لا يطلبون عزّتهم من الله بل من الكبار الوثنيين، يوالونهم طالبين منهم القوّة السحرية، وذلك ليسهل لهم عملية الكرامات كما هو الحال عند المسيحيين في نيجيريا الذين تمهّروا في استعمال السحر وفي ظنّهم أنّهم يعملون بها كلمات المسيح. فقد منع الله المؤمنين منها حين قال: «فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان

٤٧ القرآن . التحريم ٦٦ : ١ .

٤٨ محمد بن الأمير الصنعاني (د.ت) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد .

٤٩ وقد قيل ان من صفات أحمد البدوي من مواليد ٥٩٦ هـ بفاس انه حفظ القرآن الكريم وتفقه شيئا من فقه الشافعي، ولزم لبس اللثامين، ولم يتزوج قط، واشتهر بعطاب من يؤذيه، ويلزم الصمت، عظيم الفتوة، ويمكث اربعين يوما لا يأكل ولا يشرب، وان اكثر اوقاته شاحصا بصره نحو السماء. عيناه كالجمرتين، وانه اذا لبس ثوبا او عمامة لا يخلعها لغسل ولا غيره حتى تبلى فتبدل. مات ٥٦٧٥ هـ . (الكواكب الدرية ٦٢١٢-٦٤ .

تصيينا دائرة.....»^{٥٠} وقوله: «..... والله العزة ولسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون»^{٥١} وغيرها من الآيات تنص على عدم إيلاء الكفار.

٨- تركهم النهي عن المنكر.

إن أكبر جريمة ارتكبتها هؤلاء المعاصرون من المتصوفين وخاصة الشيوخ وخلفائهم من المقدمين أنهم ساكتون دائما عمّا يفعله زملاؤهم في الطريقة أو في التصوّف. فهذا السكوت دلالة على أحد الشئيين: أنهم لا يرون بأسا فيما قد عرضناه من العيوب وأنهم طبعاً يجيزونها، أو أنهم ساكتون عنها لأنهم أيضاً غارقون فيها ويتساترون بعضهم البعض مخالفين أوامر الله القائل: «..... وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان.....»^{٥٢} وقال ايضاً: «لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون»^{٥٣}.

إمكانية الوحدة والاستقامة

يتوقع من شيوخ الطريقة وكبار مرديهم من الخلفاء والمقدمين ترك الإكثار من التحدّث عن مثل هذه الأمور الغيبية وخاصة الفراسة والكرامات، وأن يمنعوا أصحاب الطريقة من الإخوان و عامة الناس من الخوض في الكلام عنها إلا بالإرشاد من الخبراء. وحتى لو كانت هذه الكرامات صادقة، لأن الكرامات خاصة بصاحبها ومن شروطها

٥٠ القرآن . المائدة : ٥٢ .

٥١ القرآن . المنافقون : ٦٣ : ٨ .

٥٢ القرآن . المائدة : ٥٢ .

٥٣ القرآن . المائدة : ٥٧٧ .

الكتمان.^{٥٤} إن فعلوا ذلك استطاعوا على المغالبة على المساوىء، واتفق الجميع على سنّية التصوّف.

وياحبذا لو علم هؤلاء الشباب المتزاهدون أن العمل والكسب سنة الحياة، وأن الأنبياء كانوا يعملون لتوفير حاجاتهم المعيشية. وفوق ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه الأولين لم يكونوا يأكلون من أموال الزكاة أو الصدقة، غير أنهم كانوا يقبلون الهدايا فقط. وقد يزداد وضوح حرمة الاكتساب في الاسلام لو علم هؤلاء الناس أن أهل الصّفة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم اتصفوا بأنهم فرسان النهار ورهبان الليل (اي أنهم لم يكونوا متتفرّغين للدعاء والخلوة وصيام الدهر).

الختم

الاسلام دين من الله تعالى جاء إلينا من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم، والذي بدوره قد بيّن كل ما تعلق به فأصبح ليّله كنهاره. فخير الدليل لهذا هو الذي قاله الرسول صلى الله عليه وسلم: « تركت فيكم أمرين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا: كتاب الله وسنّة رسوله ». فعلى كل متصوّف الرجوع الى الله ورسوله في كل خطوة يخطوها في الأمور الصوفية، وإن لم يفعلوا ذلك فلا عدوان إلا على الظالمين.

٥٤ السحمراني، أسعد ٢٠٠٠. التصوف منشؤه ومصطلحاته. بيروت- لبنان: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع. ط ٢.

المصادر

- الألورى، آدم عبد الله. (١٩٧٨). الاسلام في نيجيريا. لاغوس: مركز التعليم العربي الاسلامي أجيبي.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (٢٠١٠). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
- ابن كثير، اسماعيل بن عمر. (١٩٩٩). تفسير القرآن العظيم. د.م: دار طيبة للنشر والتوزيع.
- الباروحي، سليمان بن ابراهيم. (٢٠٠٢). الطرق الصوفية في ماليزيا وأثرها على الدعوة الاسلامية. نجري سمبلين: دار الافتاء.
- الدمشقي، اسماعيل بن عمر. (١٩٩٩). تفسير القرآن العظيم. (تحقيق سامي بن محمد سلامة). د.م: دار طيبة للنشر والتوزيع.
- الرازي، محمد بن أبي بكر. (٢٠١٠). مختار الصحاح. لبنان: مكتبة لبنان.
- السحمراني، أسعد. (٢٠٠٠). التصوف منشؤه ومصطلحاته. لبنان: دار النفائس للطباعة والنشر.
- الصنعان، محمد بن الأمير (د.ت) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد. د.م: د.ن.
- الطبري، محمد بن جرير. (٢٠٠٠). جامع البيان في تأويل القرآن (تحقيق احمد محمد شاكر) بيروت: مؤسسة الرسالة.
- القرطبي، محمد بن أحمد. (١٩٦٤). الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). (تحقيق أحمد البردوني و ابراهيم أطفيش). القاهرة: دار الكتب المصرية.

REFERENCES

The Qur'an.

- Al-Aluri, Adam Abdullah. 1978. *Al-Islam fi Nigeria*. Markaz al-Ta'lim al-'Arabial-Islami, Ajiji.
- Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukrim bin Ali, Abu al-Fadl, Jamluddin ibn Manzur al-Ansari al-Ruwaifi al-Afriki. 2010. *Lisan al-'Arab*. Beirut: Dar Sadir.
- Al-Baruhi, Sulaiman ibn Ibrahim ibn Umar. 2002. *Al-Turuq al-Sufiyyah fi Malaysia Atharuha 'ala al-Da'wah al-Islamiyyah*. Negeri Sembilan: Dar al-Ifta.
- Al-Dimasyqi, Abu al-Fida Ismail ibn Umar ibn Kathir al-Qurashi. 1999. *Tafsir al-Qur'an al-Azim*. N. P.: Dar Taybah li al-Nashr wa al-Tauzi'.
- Al-Razi, Muhammad ibn Abi Bakr Abdul Qadir. 2010. *Mukhtar al-Sihah*. Lubnan: Maktabah Lubnan.
- Al-Sahmarani, As'ad. 2000. *Al-Taswwuf Mansyuah wa Mustalahatuh*. Beirut: Dar al-Nafais.
- Al-San'an, Muhammad ibn al-Amir. N.d. *Tathir al-I'tiqad min Adran al-Ilhad*. N. P.
- Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir ibn Yazid ibn Kathir ibn Galib al-Amili Abu Ja'far. 2000. *Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an*. Beirut: Muassasah al-Risalah.
- Al-Qurtubi, Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Abi Bakr ibn Farah al-Ansari al-Khazraji, Syams al-Din. 1964. *Al-Jami' li Ahkam al-Qur'an*. Cairo: Dar al-Kutub al-Misriyyah.